

## مسرحيات أندريه جيد

من العيب أن نحاول في مقال واحد حصر هذه الآفاق البعيدة التي تبسطها مسرحيات أندريه جيد، وإنما ننتهز مرور أندريه جيد بالقاهرة، وتناثر دار «الكاتب المصري» التي نشرت ترجمة عربية للباب الضيق وتوشك أن تنشر تراجم أخرى لثلاثة من كتبه، فكشف للقراء عن ناحية من نواحي الانتاج الفني لأندريه جيد، لم تُتعمَّق بعد، وهي أدبه المسرحي.

ولن نتحدث إلا عن قصص أربع وهي: «شاول» سنة ١٨٩٦ (وكان عمر جيد وقتئذ ٢٧ سنة) و«فيلوكتيت» سنة ١٨٩٩ و«الملك كوندول» سنة ١٩٠١ و«أوبيديوس» سنة ١٩٣١؛ لأن هذه القصص أهم محاولاته التمثيلية. والنية أن نستخلص من هذه المسرحيات، لأقول علماً متسعاً متماسك الأطراف، وإنما أقول بعض ملاحظات نفسية وخرافية. فإن جميع الأبطال الذين سُميت القصص بأسمائهم يُثيرون استطلاعنا لا من حيث إنهم يخضعون لقوة تقهرهم وتقودهم إلى حيث لا يريدون فحسب، بل من حيث إن كل واحد منهم على عكس ذلك يحمل في طيات نفسه ضرورته الصارمة، ومأساته الخاصة التي لا يشاركه فيها غيره. وقد لاحظ جيد في محاضراته التي ألقاها سنة ١٩١٩، في الأساطير اليونانية: «أن كل بطل من هؤلاء الأبطال يحمل سلاحه المقصور عليه». ونستطيع أن نضيف إلى ذلك أن كل واحد منهم يحمل سلاحه وموقعته وميدان هذه الموقعة.

وقد استعار جيد موضوع قصة «شاول» من التوراة (سفر الملوك) وهو معقد إلى حد ما كأنه صورة مطابقة لما في نفس هذا الملك من تعقيد وغموض. فإن الستار يرفع عن تحزب مروع وتحالف شيطاني، ولا يكاد الناظر يشهد هذا المنظر حتى يشعر بأن الصراع سيكون عنيفاً، وأن النبات لهذه المصاعب العسيرة يقتضى رجلاً فذاً؛ فقد اصطاح الغضب والجنون والإثم والخوف والتسلط والغرور والفجور على أن تقتحم شخص الملك لتستأثر بنفسه، والملك معذب قد

عكف على الشراب دون أن يظفر بالسكر ، وقد قتل السحرة جميعاً وهو يريد أن ينفذ إلى المستقبل ، وإلى مستقبله خاصة ، وهو يسأل السماء عن ذلك عبثاً . يحتفظ الملك بسر أو يحاول أن يحتفظ به ، ولكن خاصته في قصره ( والمثل يقول : من مأمنه يؤتى الحذر ) وهم الملكة ونابال الكاهن الأعظم وجويل الفراش والحلاق قد ائتمروا أن ينفذوا إلى ضمير الملك ، وقد همس الحلاق في أذن الملكة متنبئاً أو موحياً باسم داود ، فلم يكد الكاهن يسمع هذا الاسم حتى اهتم له وإذا داود يُدعى إلى القصر . ولا يكاد يونانان بن الملك وولي عهده في أكبر الظن يرى الفتى حتى يكلف به ، وإذا هو يدعوه كما يدعى في أسرته باسمه المصغر دويد والحرب قائمة بين الفلسطينيين وبني إسرائيل ، وبطل الفلسطينيين جالوت يتحدى في كل يوم أولى البأس من بني إسرائيل . وإذا داود يدعوه إلى المبارزة فيقدم على ذلك وحيداً أعزل .

فإذا كان الفصل الثاني فقد استكشف جويل والحلاق سرّاً وهو أن صموئيل قد رسم داود في بيت لحم ، وقد ارتفعت الأصوات وصيحات الفرح من كل صوب تهتف باسم الفتى المنتصر ، فيغضب الملك لذلك لكنه لا يكاد يرى داود حتى يسقط غضبه كما يسقط النقاب . فهو يحب الفتى ويريد أن يتخذه لنفسه مغنياً . وقد أقبلت الملكة وهي سعيدة لأنها وصلت داود بالقصر ، وهي تثني على منقذ بني إسرائيل وتوصيه بأن يلاحظ الملك ويحمل إليها أبناءه . وقد ملكها عطفها عليه حتى دفعها إلى أن تمس خده . والملك مستخف وراء أحد العمد يسمع الحديث ويتبعه ( كما يتسمع أويديبوس وكريون لجديث ايثوكليس وبولينيس ) وإذا هو نائر قد هجم على الملكة فأرداها . ولا يكاد يخلو إلى نفسه في أثر ذلك حتى يحيط به الشياطين ويأخذوه من كل وجه .

فإذا كان الفصل الثالث فالحلاق وجويل على ما بينهما من ريبة ( فلا أمن في ظل ملك تدفعه الغيرة إلى قتل زوجه ) يحاولان أن يستكشفا سر شاول .

وقد ظهر يونانان في شارة الملك التي ينوء بها والتي يفرضا عليها أبوه يهيمته بذلك للنهوض بأعباء الملك يوماً ما ، والفتى يتخفف من المعطف والتاج يلقيهما إلى داود فيحملهما دون أن يجيد لهما ثقلاً . والملك يلحظ ذلك من مخبئه . فإذا سمع داود يقول لابنه : « تمرّ عن ضعفك بين ذراعي » وسمع ابنه يدعو الفتى دويد لم يملك نفسه أن يدخل بينهما . وقد هم الملك أن ينجي نفسه على الناس ، ولعله هم

أن يسترد شيئاً من شبابه، فأزال لحيته وسعى إلى الساحرة وهي الوحيدة التي أفلتت من الموت، وهو يطلب إليها أن تستحضر روح صاموئيل فتجيبه إلى ما أراد. فياها من نبوءة يتبين منها الملك أن العرش صائر إلى داود وأنه وابنه مقتولان. وهو يثور لهذه النبوءة فيقتل الساحرة. ولكنه حين يعود إلى القصر يرى داود ويسمع لايقاعه فيستسلم لأحلامه الخلوّة ويدعو الفتى باسم دويد، فإذا سمع الفتى ذلك ألقى قيثارته فتحطمت وانصرف.

والفصل الرابع أفسى فصول القصة، ففيه يودّع داود صديقه يوناتان لأنه سينضم إلى الفلسطينيين. ولكنه على ذلك يضرب له موعداً في كهف يعينه ليلتقيا في اليوم الثاني من أيام الموقعة. وقد اعتزل شاول في الصحراء حيث تسلط عليه المغريات التي لا تحصى، وهو يركّذ إلى القصر أشعث مختلط العقل. والشعب يسخر منه ولا يسمع لهذيانه أحد إلا ساقيه الذي يجبه؛ فإنه يرى له ويكي لما صار إليه من الوحدة، والملك يسأله عن الصديقين فلا يعرف منه شيئاً، ثم هو يشهد اجتماع الصديقين في الكهف ويسمع حديثهما.

فإذا كان الفصل الخامس فقد انتهى سقوط شاول إلى غايته. فهو في مرادقه حريص على العزلة. ولكن شيطاناً في صورة طفيل يرتعد من البرد قد أخذ يغريه، ومع أن ابنه يوناتان يدعوّه إلى أن يتبعه، فإن الملك يمرض عن ابنه ويتاقى الصبي وقد أخذت شياطين أخرى تقبل مرتعدة من البرد والملك يقاوم شيئاً ثم يستسلم، وقد أبى وأصر على الإباء أن يتبع ابنه. وإذا جويل يقتل الملك ثم يرى نفسه وقد قضى داود عليه الموت. وقد قتل يوناتان كذلك. وتنتهي القصة إلى هذه الخاتمة الفاجعة.

وهذه القصة التي توشك الحركة فيها أن تخفي القيمة النفسية لا تعيننا من الناحية التمثيلية وحدها؛ فالحوادث فيها كما في غيرها من المسرحيات تصوّر الحياة وتعطى كل شخصية سياتها المميزة لها، ولكنها ليست غاية في أنفسها وإنما هي كالمخاض الخلقية وسائل إلى قضايا عامة تستنبط منها. وقد استطعنا بفضل محاضرة ألقاها جيد في بروكسل في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٤ عن تطور المسرح أن نفهم فيم تجاوزت قصة شاول التوراة بل تجاوزت إطار المسرحية نفسها وأصبحت منحصرة لبؤس فردي. فقد أراد جيد أن يتخذ من شاول صورة الملك المعذب الضارع الذي لا يستجيب الله له على حين أنه في أشد الحاجة إلى الله. ومصدر

عذابه الذي يَورق عليه ليله ، بما يبعث في نفسه من هموم النهار، ليس حاجته إلى أن يعرف اسم ولي عهده، وإنما هو شعوره بأن في قلبه سرّاً يجهله «وهذا السر يضطرب في قلبه كما يتخبط الطائر بجنبات قفصه». ولكن بؤس شاول أشد من هذا خطراً؛ فخاصته الذين يحيطون به من زوجه إلى حلاقه لا يعينونه على ما يسمو إليه من يقين مطلق، وإنما هم يوسعون أمامه هوة الوحدة التي تدعوه إلى نفسها كلما خطا خطوة. وهو يرتاب بامرأته أكثر مما يرتاب بأى شخص آخر. يقول عنها: «إن هذه المرأة تمقتني وإني لها لمبغض». ويقول لها: «حسبك يا سيدتي وقد استمعت لك وقتاً كافياً». فاذا أقرت اختيار عازف على القيثارة قال: «أما وقد اختارته هي فيجب أن يكون مصدر شر لي». ولكن لم يترنح شاول كما يترنح الشيخ الهرم؟ فاذا اختبر نفسه في الفصل الخامس لم يجد فيها قدرة على المقاومة، وإذا بطش به جويل لم يصادف منه إلا رجلاً محطماً متهدماً. لماذا يقول داود إن نفسه تذوق عذاباً لا يقاس إليه شيء؟ إن خلاصة سره هي ما تنبئ به الساحرة، ولكنها حين تنبئ به لا تجد من يسمع لها من الذين كانوا يحرصون على أن يتعرفوا هذا السر: «أيها الملك الذي أعده الشقاء لاستقبال كل طارق: أغلق بابك». إنما هلك شاول لأنه فتح بابه... لأنه استقبل داود ولأنه استقبل الشياطين ولأنه لم يفهم «أن كل ما كان يعجبه قد كان له عدواً».

لم يكن بد لليونان من أن يحصلوا من فيلوكتيت على قوس هرقل وسهامه لينتصروا على الطرواديين. هذا هو منشأ القصة الثانية وموضوعها. وهذه القصة تتألف من خمسة فصول كالقصة التي سبقتها وإن كان الفصل الخامس لم يتجاوز مشهداً واحداً قد صيغ في سطرين. ويصفها فرنسوا اليبير بأنها «مأساة الحاذقين» وأحداثها قليلة جداً. فقد لدغت حية قدم فيلوكتيت، وكانت آلامه العنيفة تشيع في نفوس المحاربين إشفاقاً يليئها كما يقول جيد؛ ومن أجل ذلك ترك الجيش فيلوكتيت في جزيرة خالية. وقد أوحى الآلهة أن لا بد من سلاح هرقل لإحراز النصر، فانتدب أوديسيوس ونيوبتوليم بن أخيل ليأخذا هذا السلاح من فيلوكتيت. ولكن نيوبتوليم يرى في سيرة اليونان مع فيلوكتيت ظالماً فيرفض أن يعين عليه أوديسيوس. غير أن أوديسيوس ما كر وهو يمكر برفيقه النقي، فيصور له الواجب والوطن تصويراً يضطره إلى الصمت لأنه يقطع حجته.

فإءا ائءهءا إءى الءزءرة ولءقا فءلوكئءء آءء هءا ءقص ءلءهءا ءءف اسءءشف وءءءه؁ فقءءءءء ذلك باسءءشفاء نفسه؁ ثم اهءءى إءى معنى الشءوى ثم عرف صءة الءلفاء الءى لا اسءءعمل إءا لءوءى إءى ءءة؁ ثم ءءن آءر الءمر ما فى الءعمال البرءءة من ءراء. بعء عن الناس فأسء قلبه ونسى نفسه وأصء معنى الطءبعة. وأوءءسءوس ءسمع لهذا كله فلا ءطمئن إءه لأنه لا ءنظر منه ءءراء؁ فءءاول أن ءعطف قلب فءلوكئءء ءلى الءونان ولكن فى ءر طائل. ءلى أن فءلوكئءء قء كان فى بعض الءواقاء مسءءفءاً وراء ءئءب من النءء (وفى كل مسرءة من مسرءاء ءءء من ءسءءف) فءسمع ءوار الرءققءن وءعرف ما ءقصءان إءه. وهو مع ذلك ءءنو ءلى الفءى وءءف إءه القوس لءشءها. وإءا الفءى ءءرف عن أوءءسءوس وءءهمه بأنه لم ءفهم ءءءة فءلوكئءء؁ بل ءءءاوز ذلك فءءون أوءءسءوس وءظهر فءلوكئءء ءلى الزءءة الءى أءء لءءءءره ءءى ءمكن أن ءسرق منه السلاء. وقء عرف ذلك فءلوكئءء وقءر ءءآءه؁ وأقءم مع ذلك ءلى شرب ما فى الزءءة فأءءه النوم؁ ءءى إءا أفاء فى الفصل الءامس لاءظ أنهماء قء آءءا السلاء فلن ءعودا إءه وأنه سءءء هءءا العمل الءى أقءم ءله لا ءنظر منه ءعماً.

فأنء ءرى أن موضوع القصة لءس مقصوءاً لنفسه؁ وإءما هو وسءة إءى ءءربة إنسانءة لاءءء بزمان. ونءن نقرأ فى قصة أوءءسءوس (الءى سنءءءء عنها بعء ءءن) قول الملك لابنءه : «ءلما ءا ابنءى أن كل واءء منا ءلقى فى شءابه وءشأ ءعرض ءله لءزأ ءمنعه من أن ءمضى إءى أمام.»

فنءن نشهد نءوبءولءم الشاء ءمر هءءا الطور الفءءع من ءءاءه وهو فى مفرق الطرق ءءعوه كل طرءق إءى نفسه؁ وءوءلو اسءطاع أن ءءءار وأن ءءءن وءه الءق وءءمئى أن ءعءنه معءن ءلى هءءا الاءءءار. هو قابل لاء فاعل لأنه شاء؁ وهو ءسأل أوءءسءوس عن الفضءة لأنهاهى الموضوع الءى ءعءنه الآن؁ ءما ءسأل بعء ءءن فءلوكئءء عن معنى الاءلاء؁ فلا ءصاءف ءواب هءءا ولا ذاك منه قلباً ءءبأ. لءقء ساءر إءى ءلك الءزءرة العرءبة وهو ءءهل المءمة الءى ساءر من آءلها؁ ولكننه كان ءشعر أنه مسءءء للءضءءة. لءقء ءرك كل شءء ءر آسفف لءبءر مع أوءءسءوس. لءقء كان ءذكر بنوع ءاص ءروس آءل. وهو ءقول لأوءءسءوس : «لءقء ءلنى أبى ألا أسءءءم الكءء أءءاً؁ ءلبنى ما شءء إءا

خيانة الصديق ». أما مذهب أوديسيوس وخلاصة تفكيره فيمكن إيجازه في كلمتين : « إن الكيد أقوى من القوة » .

ولكن نيوبتوليم شديد الظمأ إلى الوضوح، فاذا طلب إلى أوديسيوس فضلاً من التفصيل طلب إليه أن يهدى من جموح عواطفه وأن يدعن لوحى الآلهة وأمر الدولة، وأن يهب نفسه آخر الأمر لليونان. أما الآلهة فإن نيوبتوليم يكبرهم ويؤمن بسلطانهم، وهو يطلب إلى أوديسيوس أن يؤكد له أن ذوس إله الغيب إذا رضى فسيقدر النصر لليونان. ولكن إثارة للحرية يأبى عليه أن يؤمن بأن الآلهة يملكون إكراهنا على الفضيلة كما يصورها له أوديسيوس؛ لأنه يرى أن لا قيمة للفضيلة إذا أجبر الناس عليها. ولكن أوديسيوس يفجؤه بهذا الجواب المروع : « ألا ترى يا نيوبتوليم أن المهم قبل كل شيء أن تنفذ إرادة الآلهة وإن لم يرض الناس عن نفاذها؟ » ومن قبل ذلك سمعه يقول : « إن أوامر الآلهة قاسية لأنها تصدر عن الآلهة » .

أما الإخلاص في خدمة اليونان فلا غرابة فيه. إنه يعرض نفسه للموت في غير خوف في سبيل إنتقاذ اليونان. وهل صنع أخيل شيئاً إلا أنه مات في سبيل الوطن؟ وهو من أجل ذلك يقول في آخر القصة : « ويحك يا فيلوكتيت ليس من السهل أن يفلت المرء من طاعة اليونان. » على أن في تصور أوديسيوس لسלטان الوطن كما في تصوره لسלטان الآلهة نوعاً من الإطلاق والسعة لا يطيقه نيوبتوليم. فأوديسيوس يرى أن كل شيء يهون في سبيل اليونان، وهو يبين لرفيقه الشاب أن فيلوكتيت إنما ترك وحيداً لأنه لم يعد قادراً على خدمة اليونان. وهو من أجل ذلك لا يفهم موقف نيوبتوليم. فكيف يمكن أن يفكر الإنسان لحظة في إنتقاذ فرد وإن أضع ذلك أمة كاملة. فلا سبيل إلى الموازنة بين فيلوكتيت واليونان، وإنما الوطن أقوم من الصداقة كما أن الوطن كان أقوم عند أجامنون من ابنته ايفيجيني. طاعة عمياء للآلهة وإخلاص كامل للوطن، ألا يمكن أن يوجد في عالم أقرب إلى الانسانية أوامر أقل من هذه الأوامر صرامة؟ وفيلوكتيت ماذا يرى في هذا كله؟ أليس لديه هو أيضاً سر من أسرار الحياة يستطيع أن يهديه إلى النقى نيوبتوليم؟ فقد أجاب أوديسيوس حين سأله النقى بالأحوبة الملقنة والآراء الموروثية والأفكار المقررة. أما فيلوكتيت فقد رأى نفساً ناشئة تسأله وعقلاً يقطاً يتفتح له، فأخذ يعرض الثروة التي اكتسبها من

التجربة فهو يقول له مثلاً: « لم أفهم ما يسمى الفضيلة إلا منذ اعترلت الناس . » ويقول: « أيتها الفضيلة ، أيتها الفضيلة كم آثرتك منذ كنت وحيداً . » قد علمته عزلته التي فرضت عليه أول الأمر ثم اطمأن إليها على مهل أن الإنسان الذي يعيش بين الناس لا يستطيع أن يأتي عملاً بريئاً خالصاً من الغرض . وانتهت به إلى هذه الحكمة البالغة ، وهي أن يكون الإنسان كما هو دون أن يحفل بالمظاهر. والذي يكشفه فيلوكتيت لنيوبتوليم أنه في وحدته قد كف عن الأمل والأين والأحلام والتمنى ، وهو يعود قليلاً قليلاً أن يغير نظره إلى الأشياء كما تعود هو بحيث تظهر الحقيقة مغايرة لصورتها المألوفة . بفضل هذه النظرة الجديدة أصبحت شكاته رائعة وتعبيره ممتازاً ؛ لأن أحداً لم يكن حاضر أمره ليسمع له ، فليس شيء مما يصدر عنه بضائع بل كل شيء في نفسه ومن حوله ثابت مستقر ثم راجع إليه يرمقه بهذه النظرة التي تنفذ إلى أعماق الأبد . بون بعيد بين فيلوكتيت وأوديسيوس ؛ ولذلك يقول نيوبتوليم : « إني أشعر بأن الفضيلة ليست واحدة بالقياس إليك وإلى أوديسيوس . » وقد سمي جيد قصته « رسالة المذاهب الثلاثة في الأخلاق » : الآلهة والوطن ، أما المذهب الثالث فلم يوجد بعد ، وقد مارسه فيلوكتيت في جزيرته ، فهو يعلم أن هناك فضيلة عليا لا يرقى إليها الإنسان إلا قليلاً قليلاً . وهو يقول لنيوبتوليم : « إنما الفضيلة هي أن يتكلف الإنسان ما فوق طاقته . » وهو يفضي بسر المذهب الخلق الثالث إلى نيوبتوليم ولكن الفتى لا يظن له . وذلك حين يقول : « إن هناك شيئاً فوق الآلهة وهو شخصية الإنسان . »

أما قصة الملك كوندول فهي الوحيدة التي مهد لها جيد بمقدمة يستأنف فيها بعض آرائه في التمثيل ، ويعلن أن من الحق على الكاتب التمثيل أن يتقاضى أبطاله حقائق لا تستطيع الجماعة أن تقبلها في حياتها اليومية . فاذا فرضت الأخلاق والعادات والقوانين نقابها على الإنسانية ( كما يرى ذلك في شخص كريون المحافظ في قصة أوديبوس ) وجب على صاحب الفن أن يصطنع من الذكاء والشجاعة ما يمكنه من أن يجرر أشخاصه من هذا النقاب .

دعا الملك كوندول حاشيته ، وهي مكونة من فيليب وسيياس وأركيلايوس وفرناس وسيفاكس إلى وليمة في القصر . ولأول مرة تشهد الملكة نسيا هذه الوليمة وتشهدها حاسرة ؛ فالملك يريد أن يعلم الناس جميعاً أنها رائعة الجمال وأنه

سعيد . وقدم السمك إلى الطاعمين . وإذا أركيلايوس يجد فيما قدم إليه منه خاتماً عليه هذا النقش الغريب « إني أخفى السعادة » وقد أحضر جيجيس الصياد البأس الذي حمل السمك إلى القصر والذي امتحن من ليلته بمحرق ذهب بكوخه وشباكه . وقد كان هذا الصياد البأس يعتقد أنه لا يملك إلا امرأته تريدو وبؤسه ، ولكن سيباس يلمح بأنه مخطئ حتى في هذا ؛ لأنه داعب تريدو حين كانت تساعد على تهيئة الوليمة . ولا يكاد جيجيس يسمع بذلك حتى يقتل امرأته . والملك يعطف عليه ويؤويه في قصره . وقد أزمع أن يبدله من بؤسه نعيماً وأن يتخذة لنفسه نديماً . ونحن نراه في الفصل الثاني قد خلا إلى جيجيس ويتحدث إليه في تبسط وقد تغيرت حاله ، فهو يرفل في ثوب نغم وقد أدار حول عنقه عقداً ملكياً ليكبره أهل القصر فلا يردّوا له أمراً . ولكن ثقة الملك بجيجيس قد بلغت أقصاها ، فهو يلح عليه في أن يرى الملكة ، وهو يتحدث إليه بأمر هذا الخاتم الذي يخفي حامله عن الأنظار وهو حاضر يرى كل شيء . وهو يكره جيجيس على أن يحمله . وقد أقبلت نيسيا واثقة بأنها بما آمن من الرقباء فهي تفيض حناناً على الملك ، وهي تتجرد من ثيابها ، وقد ثار في نفس الملك صراع عنيف فهو يرد نفسه إلى الحزم ويأخذها بما أزمع من هذه المؤامرة . « من ذا الذي يستطيع أن يقدم على هذا آخر الدهر إن لم تقدم عليه أنت ، تشجع إذن . » وهو ينسل في رفق ويأمر جيجيس بالبقاء .

فإذا كان الفصل الثالث فإن الحاشية التي رأيناها تشهد الوليمة تختصم حول لغز الخاتم الذي وجد في السمكة : فالملك فيما يظهر يطلب هذا الخاتم وهو قلق ؛ فقد اعترفت له نيسيا بأنها في الليلة الماضية قد ذاقت أعذب الحب الذي تطعم فيه امرأة . وقد سمع جيجيس هذا الاعتراف فينزع الخاتم وينبئ الملك بأنه صاحب تلك الليلة الرأمة .

والملك الذي يمتاز بكرم لا يعده عند جيد إلا استعداد شاول لتلقي كل إنسان يتحدث إلى أصحابه بأنه منذ الآن حريص على أن يحتفظ لنفسه بامرأته وثروته ، وفي أثناء ذلك تصدر الملكة أمرها إلى جيجيس بأن يقتل زوجها . فيتردد ثم يقدم ، ثم تتخذة نيسيا لها زوجاً ، وينتقل الملك إلى الصياد البأس القديم .

موضوع خطير كما ترى يشبه قصص ألف ليلة وليلة . يسطر عليه القضاء كما هو الحال في مسرحيات جيد كلها . ورمز القضاء هنا هو خاتم جيجيس ، كما

أن رمزه في قصة شاول هو الاستطلاع ، ولكن قيمة الموضوع هنا شيء آخر . فأمام هذا المنظر الذي يمثل هذه الحاشية المستهتره وقد عنى كل واحد منها بمكانه على المائدة وأخذوا يبضاحكون من حياء الملكة ويأسفون لغيبه تريدو ويسكرون حتى يساقطوا تحت المائدة ، أمام هذا المنظر ينفرد شخصا كوندول وچيجيس ، وقد أخذها جيد من أقصى طرفي السلسلة الاجتماعية : أحدها بأس يرى أن من الخير أن يجد الإنسان قليلا وأن يحتفظ بهذا القليل لنفسه ، رجل قنوع يسأله الملك : « أنشرب الخمر أحيانا ؟ » فيجيب : « لا أكاد أذوقها » ، ولكنه فوق كل شيء رجل أبي يدعو نفسه قائلا : « هلم ياچيجيس الابي » فاذا دعاه الخدم إلى أن يشاركهم في شراهم لأن الملك قد أمن أن يسكر الخدم جميعاً أجاب بأنه ليس خادماً للملك . ونحن نعلم مع ذلك أنه يجب الملك ويألم حين يراه محاطاً بهؤلاء الأغرار المتملقين . وهذا الإباء الذي يمنعه من أن يستغل كرم الملك يدفعه إلى قتل امرأته ، وهو مصدر هذه الحرية التي تشاهد في مظهره وتفكيره والتي تتيح له أن يقول للملك : « أيها الملك لست خادماً لك » والمملك يقبل منه هذه اللهجة فهو عظيم الثراء ولكنه عظيم الحظ من الفلسفة . وإذا كان چيجيس حريصاً على أن يحتفظ بشيء لنفسه فان الملك حريص على ألا يحتفظ بشيء ، فهو السكرم نفسه وهو يضيف في قصره كل من يمر به لا عن التماس للمنفعة ولا عن حماقة ، بل كما يقول جيد عن كرم متردد غير مستقر . وليس في حياته شيء من التعالي المهين فان ميوله كلها رقيقة ، وهو من أجل ذلك يؤثر سينباس بالتين الأبيض ، ويشقى على فرناس لذكائه وبهنية سيفاكس بشعره ويداعب أركيلايوس لأنه يسرف في حب اللاعبات . وهو حين يزدرى المتملقين إنما يصدر في ذلك عن تقديره للمودة . وشيء واحد بالضبط هو الذي يحرمه السعادة ، وهو أنه لا صديق له . ولكن كوندول كشاول يحمل في أعماق نفسه مصدر هزيمته . فهذه المبادئ التي تدبر أمره تعطى الحياة معنى لا تلبث أن تفقده . وهو يقول لحاشيته إنه يعتقد « أن البهجة تضاعف حين يقتسمها المرء مع أصحابه ، وإن البهجة التي يستأثر بها الفرد توشك أن تكون مسروقة . وهو على الجملة لا يريد أن يسير سيرة البخيل المحتكر فيستأثر وحده بالنور » . والخاتم هو الذي يثير القلق في نفسه . يثور حين يشرب الناس نخب كوندول أسعد أهل الأرض ، يثور ثم يحاول أن يفسر ثورته ، « فما السعادة ؟ أيمكن أن يرى الانسان

سعادته ؟ أهى فى أن يملك الإنسان شيئاً ؟ » فقد رأينا فيلوكتيت سعيداً حين لاحظ أنه قد تجرّد من كل شيء ، أما كوندول فلا يستطيع أن يعرف هذه التجربة لأنه عظيم الثراء ولكن الملك بالقياس إليه ليس احتيازاً وإنما هو تجربة . فسظل قلقاً ما دام جيجيس لا يحيط بكل ثروته . فقد كان شديد الألم لأنه كان يعرف وحده جمال الملكة ، وقد بلا نفسه بتجربة أولى حين أظهر الملكة للحاشية ، وهو منطقي مع نفسه ، فلا بدّ من أن يظهرها لجيجيس . وقد رأينا عاقبة ذلك ؛ فقد مات كوندول لأنه أراد أن يعطى كل شيء فكان أشبه بهذا الطائر الذى يتحدث عنه فيلوكتيت والذى « مات لأنه همّ أن يطير » .

هذا الصراع الذى شهدناه بين صورتين من السعادة يعرضه علينا جيد فى صورة أتمل حين يعرض علينا قصة أوديبوس . وأنا أمر مسرعاً بمخلاصتها . فالشعب ممتحن بالطاعون ، وليس من شك فى أن هذا عقاب من الآلهة فلا بد من أن يهلك من جرّ هذا الشر على الأبرياء ، يجب أن يثار للأيوس (ملك ثيبة الذى قتل) حتى يحول الإله هذا الوباء عن المدينة . وأوديبوس يريد أن يلتمس القاتل ولكن الكاهن الأعظم تريسياس يلحّ فى لوم أوديبوس على تهاونه فى الدين . وفى نفس الملك شيء من قلق . ومع أنه كان يكره الحديث عن الماضى فقد أخذ يشرف على البحث بنفسه ، وهو يلحّ فى المسألة على كريون ويوكاستيه يريد أن يعرف كل شيء وأن يصل إلى الأطمئنان ولكن إلى الأطمئنان المشرق الصريح لا مساومة فيه . لماذا تؤجل الحقيقة ؟ إن الحقيقة لا نجح الانتظار . وقد رأى كريون تتصل ويوكاستيه تراوغ فيستبين له أنه هو الذى قتل لايبوس هناك تقتل يوكاستيه نفسها ، ويقفأ أوديبوس عينيه ، وقد أراد كريون وإرادت معه الجوقة أن ينفي أوديبوس نفسه عن المدينة ، وهو بهمّ أن ينصرف ولكن تريسياس يعلن أن الآلهة قد قضوا بالبركة للأرض التى يسقر فيها جثمانه إذامات . فما أسرع ما يتحول كريون وتتحول معه الجوقة وإذا هم بلحون على اوديبوس أن يبقى بينهم ولكن فى غير طائل .

هذه القصة تعرض علينا رجلا تضطهده الآلهة ويدفعه القضاء إلى مصيره ولكنه مع ذلك حريص أشد الحرص على أن يبقى كما هو ، فهو يضحي بنور عينيه فى سبيل نور آخر عظيم منه بهاء وأشدّ إشراقاً وهو نور الحياة . كان يحمل على

رغمه تقاباً يخفى عليه الحق ، ولكنه لم يزل يجد ويلجح في الجدل حتى يضعه عن نفسه لأنه يبغض الكذب ولا يعدل بالحق البين شيئاً . له شخصية عنيفة ، فهو من أجل ذلك سعيد لأنه ليس مديناً لأحد بسعادته ، وهو لا يتردد في إعلان ذلك بل هو لا يتردد في أن يعلن أوثاناً من الشعور لا تباح للناس إلا في كثير من الاحتياطات والاستخفاء . كان له رأى خطير في كرامة الإنسان ، وكان يرى أن شيئاً لا ينبغي أن يقف الإنسان الطامح عن النظر إلى بعيد ، وهو من أجل ذلك لا يتردد في أن يشيد بمعنى الرجولة ، وهو لا يعرف غير هذا جواباً لكل المسائل التي تثار له من كل وجه . هذا الإيمان بشخصية الفرد الذي نلحظه عند فيلوكتيت نجد رجوع صداه عند أوديبوس ، وهو يقول « إن هذا الرجل الوحيد ، بالقياس إلى كل منا ، هي شخصيته هو » . ومن هنا هذه الحرية الفاجعة التي تثبت للخطوب حين يخيل أن كل شيء من حولها ينهار ، وأن العالم لا يظهر إلا إعداء ، وأن السعادة ليست إلا سخرية ، وهو يقول : « إنما أضحي بنفسى عن رضا » ويقول مشيراً إلى أبنائه : « إنما أترك لهم عن رضا مملكة لم يخضعها الفتح » . وإذا كانت الآلهة قد أرادت أن يكون النور خاطفاً للأبصار فقد أراد أوديبوس حرّاً أن يخطف بصره هذا النور .

فما أشد الشحوب الذي تمتاز به حكمة يوكاستيه وكريون أمام هذا الإصرار الذي نجده عند أوديبوس ! إنهما يقوداننا إلى عالم من التردد والتوهم والتماس المنافع . وكريون يرى أن الخطر أن بلغت الشعب إلى مقتل لايبوس ، ويوكاستيه لا تريد أن يفض من قدر الكاهن أمام الشباب . ولماذا ؟ لأن من المقرر أن تجهل الشعوب مشكلات الملوك ، ولأن الناس جميعاً يعرفون أن الكاهن الأعظم يجب أن يحترم . فهما يكبران كل ما يحتقره أوديبوس ، وهما على أقل تقدير يمتزان بذلك . يقول كليون لأوديبوس : « إنك تعلم حرصى على الشعور بواجبات الأسرة » . ويردد الملك : « لقد تجد كل شيء » . ويعترف كليون بأن الماضى يقيده فلا يستطيع ألا يكون محافظاً ، وهو على إذعانه وموافقته للأصول المقررة قادر على أن يخرج من المأزق .

وليس أوديبوس حريصاً على أن يظل كما هو بالقياس إلى يوكاستيه وكريون وحدهما ، فهناك تريسياس وهو أعظم خطراً من سائر الناس بالقياس إلى الذين يقدرون التقاليد والعادات والقوانين المرسومة ، هو ينبىء عن الإله الحق الذى يعرف

## مراحل أندريه جيد

سراير النفوس ، وهو في الوقت نفسه يدير حرباً خفية على وديبوس ، وهو لذلك يذكرنا بنابال في قصة شاول ، ولكن نابال كان يريد أن يستكشف الملك لينقذه من القلق على حين يريد تريسياس أن يقلق الملك ليستكشف السر . خطته ألا يطمئن الملك على سعادته الفاجرة وأن يصدع ابتهاجه ويزعزع ثقته .

من هذا الاختلاف بين هذه الأفكار ، وبين هذه العقليات ، وبين هذه العقائد ، مضافاً إليها الضرورة المحتومة ، تنشأ مأساة أوديپوس التي يتقبلها جيد في فنه التمثيلي محاكاة بهالة من النور مقصورة عليه .

وقد كتب جيد سنة ١٩١٩ : « إن الأسطورة اليونانية أشبه بمجرة فيليمون التي لا تفيض مهما يشرب منها الظأى حين ينام جوبيتير » . ولذلك استطاع أن يصنع سنة ١٩٣١ أوديپوس جديداً خلق من ظمئه . ويقول جيد : « إن الأثر الفني يمتاز بهذه المعجزة ، وهي أنه يدل دائماً على أكثر مما أراد مبدعه ، وهو يتيح دائماً تفسيراً جديداً . » فكل قارئ إذن أن يتلقى في قصص جيد ما يمنحها القوة ، وأن يفهم ما فيها من الدروس الانسانية فهماً يلائم طاقته ومزاجه الخاص .

ونقل من الناحية الأدبية الخالصة . إن المحاولات التي يبذلها كثير من أصحاب القصص ليجربوا أنفسهم في فن غير الفن الذي القوه ، فيخرجوا من القصص إلى المسرح ، هذه المحاولات ليست في حقيقة الأمر الا خلاصة الفن هند جيد . أريد أن التمثيل هو الأساس لأدب جيد . فنحن حين نقرأ كتاباً من كتب بروس ت تخيل حديثاً بين السكاتب وبين نفسه ، تمضى فيه الجمل متتابعة على خط واحد ، فهو ليس في حاجة إلى من يرد عليه رجح الحديث لأنه يتبع خاطره . أما فن جيد فشيء آخر : يقتضى ثنائية ، ويتغذى من كل المناقضات ، ويقتضى عالماً لا « تتجاوب فيه الأصوات والعطور » وحدها بل تتجاوب فيه ألوان الشعور ، وضروب الحس ، وفنون الأفكار . فأثار جيد كلها حوار وهي تمثيلية بالمعنى اللغوي لهذه الكلمة ؛ لأنها تنشئ شيئاً لكل الممكنات ؛ وكل شيء ممكن بالقياس إلى جيد في حدود الطبيعة .

فليس غريباً أن يكون التمثيل قد قدم إلى جيد صيغة ببيكولوجية عظيمة الخطر موفورة الغناء .